لحركة المقاومة الفلسطينية، مع ان الوكالات والصحف الغربية والاسرائيلية أوردته، على الشكل التالي: «أعلن زامياتين عن ان الاتحاد السوفياتي يؤيد نضال الفدائيين الفلسطينيين ضد الاحتلال الاسرائيلي، وقال انهم مثل الانصار الذين ناضلوا ضد الالمان في المناطق المحتلة، ابّان الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك، لمّح الى ان الاتحاد السوفياتي يتحفّظ من بعض عمليات المقاومة الفلسطينية، مثل ضرب المدنيين، واختطاف الطائرات خارج منطقة الشرق الاوسط»(١٤٤).

ان هذه الاشارة الى حركة المقاومة الفلسطينية، وانْ بدت عابرة، الاّ انها كانت تعبيراً عن اتجاه «متفهّم» للعمل الفدائي الفلسطيني. ومنذ ذلك الحين، يمكن الحديث عن التبدّل في السياسة السوفياتية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية. وفي هذا السياق، جاء خطاب عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي، الكسندر شيلبين، في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩، في المؤتمر العالمي السابع للنقابات العمّالية في بودابست، وقال فيه ان الاتحاد السوفياتي يعتبر «نضال الوطنيين الفلسطينيين لازالة آثار العدوان الاسرائيلي نضالاً عادلاً، وطنياً، ومعادياً للامبريالية، وسيقدّم التأييد والدعم اليه»(١٤٥). لكن صحيفة «برافدا»، التي نقلت الخطاب، أهملت الاشارة الى الفلسطينيين(١٤٦).

ولكن الموقف السوفياتي لم يعد على هذه الدرجة من «التفهّم» من حركة المقاومة الفلسطينية، وهو الموقف الذي عرّفه، ألفين كاتريل، بحق، على انه «سياسة جديدة من الترقّب والانتظار الحذر»(١٤٧). هكذا، نرى ان من الاهمية بمكان ان نشير الى ان تحفّظ موسكو من حركة المقاومة الفلسطينية لم يمنع، بعد توقيع «اتفاق القاهرة» بين السلطة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية، ان تعلن، على صفحات صحيفة «برافدا» عن «التضامن مع الفلسطينيين». ومضت الصحيفة الى ان اسرائيل «تفعل خيراً إنْ هي أخذت بعين الاعتبار التضامن الذي يربط الاتحاد السوفياتي بالفدائيين الفلسطينيين، قبل الاقدام على مغامرة في لبنان». وبالطبع، لم يتأخر رئيس المنظمة، عرفات، بالتعليق على هذا الموقف، في مقابلة له مع وكالة الصحافة الجزائرية؛ اذ قال: «من دون شك، يشكّل دعم الاتحاد السوفياتي للثورة الفلسطينية حدثاً هامّاً يجب متابعته عن كثب. انها لفتة من جانب الاتحاد السوفياتي والقوى الاشتراكية والتقدّمية في العالم، انتظرناها طويلاً»(١٤٨).

المنعطف

على الرغم من ان الاتحاد السوفياتي ظل يميل الى الاعتقاد «بأن المسائل التي تتعلّق بالشرق الاوسط يجب ان تتمّ تسويتها بما يتلاءم مع قرارات هيئة الامم المتحدة، ومن قبل دول المنطقة نفسها، من دون أي تأثير خارجي»(١٤٩)، الاّ ان هذا كله لم يمنع موسكو من السعي الى تحسين موقعها في النطاق الاقليمي، بدءاً من اعتمادها على مصر، مروراً بعدائها لاسرائيل، وصولاً الى انفتاحها على حركة المقاومة الفلسطينية. من هنا، مثلاً، طالب البيان السوفياتي ـ السوداني المشترك، الصادر في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩، باتخاذ «تدابير فورية»، تستهدف ازالة آثار العدوان الاسرائيلي، وكخطوة اولى «سحب القوات الاسرائيلية من على الاراضي العربية المحتلة كافة»، وتعهّد بسعي الاتحاد السوفياتي «الى تأمين المصالح والحقوق الشرعية للشعوب العربية، بما فيها الشعب العربي في فلسطين»(١٥٠). وبات من السهل ملاحظة العطف الذي باتت تبديه موسكو «على النضال التحرري الذي يمارسه الفدائيون العرب في الارض المحتلة»، وتنديدها بحكام اسرائيل الذين «يسيرون على الطريق التي سار عليها الهتلريون»؛ وتشبيه معلّق صحيفة «برافدا»، ايغور بيلياييف،